الكساندر فولودين

السّحليّة

ترجمة
توفيق المؤذّن

مسرحيات عالمية
«٤٧»

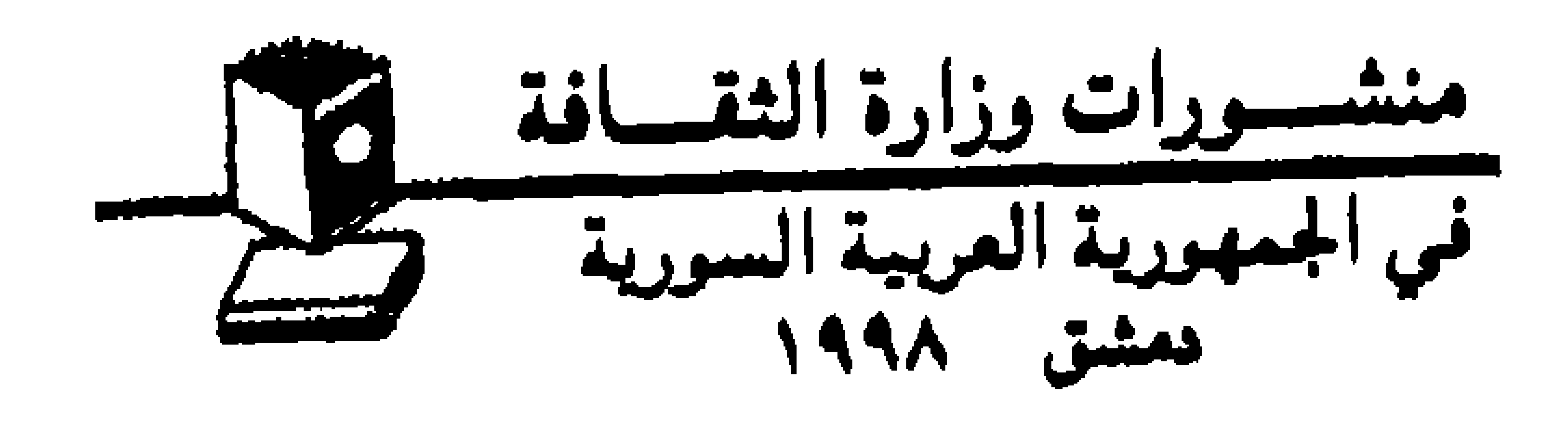
الاشراف الفني زهير الحمو

الكساندر فولودين

السّحليّة

ترجمة

توفيق المؤذّن



العنوان الأصلي للكتاب :

Тауфик Муаззен

ПЕРЕВОД С РУССКОГО :

السحلية / الكساندر فولودين ؛ ترجمة توفيق المؤذن . ـ
دمشق : وزارة الثقافة ، ١٩٩٨ . ـ ٩٦ ص ؛ ٢٠ سم . ـ
(مسرحيات عالمية ؛ ٤٧) .

١ ـ ٨٩١٫٧٢ ر ف و ل س ٢ ـ العنوان
٣ ـ فولودين ٤ ـ المؤذن ٥ ـ السلسلة
مكتبة الأسد

الايداع القانوني : ع ـ ١٩٩٨/١/٨٦

مسرحيات عالمية
« ٤٧ »

مقــدمة

الكساندر فولودين من مواليد عام ١٩١٩ . يعتبر احد كبار كتاب الدراما المعاصرين الروس . أمضى شبابه في فترة من اغنى الفترات في تاريخ المســرح السوفييتي ، ســواء في الكتابة للمسرح او في العروض المسرحية التي كان كل منها تقريباً يشكل حــدثاً كبــيراً وفتحاً جديداً في هــذا الفــن الجماهيري ، لقد تربى الكساندر فولودين ، شانه شــأن كثير من كتاب الستينات على أهم اتجاهين واهم مدرستين في المســرح ، مدرسة ستانيسلافسكي الواقعيــة ومدرسة ميرخولد الشكلية اللتين تركتا اثراً لايمحى في المسرح العالمي .

من اشهر وابرز ماكتب فولودين مسرحية ((خمــس امسيات))(١٩٥٩) وهي من المســرحيات الاجتماعية التي صبت حينها في تيار الواقعية الجديدة ، التي تخلى فيهــا المثلون عن المساحيق والماكياج واندمجت فيها خشبةالمسرح مع صالة المتفرجين . أخرج هذه المسرحية المخرج البارز غيورغي توفستونوغوف في المسرح الدرامي الكبير بمدينــة

لتنفراد كان هذا العرض من افضل عروض الموسم وترك أثراً واضحاً في تاريخ هذا المسرح الشهير والحركة المسرحية السوفيتية عموماً .

من المسرحيات الأخرى المعروفة للمؤلف : ((الأخت الكبرى)) (١٩٦١) ، و ((التنصيب)) (١٩٦٣) ، كما كتب السيناريو للسينما لفيلمي : ((افتحوا الباب فالجرس نقرع)) (١٩٦٥) و ((سباق الخريف)) (١٩٧٩) .

تعتبر مسرحية ((السحلية))(١٠٨٤) ، التي بين ايدينا قمة ابداع الكساندر فولودين في فن الدراما ، سواء في مضمونها ذي البعد الفلسفي العميق ـ كلنا اخوة في الانسانية ـ أو في شكلها المتميز الذي يعطي المخرج حرية واسعة في اختيار جنس العرض .

قدمت مسرحية السحلية لأول مرة على خشبة مسرح ((ماياكوفسكي)) الشهير في موسكو عام ١٠٨٤ ، ولازالت تعرض بنجاح هناك حتى اليوم . ثم اخرجت وعرضت في العديد من مسارح الاتحاد السوفيتي السابق .

المترجم

شخصيات المسرحية

عشيرة الثيران البرية

رئيس العشيرة

السحلية

المحارب

الخطيب المفوه

الطاووس

طويل الأذنين

السلحفاة

المجدور

طويل الأنف

افراد العشيرة

عشيرة العقارب

المشير

الخاطف

ام الخاطف

المغنية نهاراً

احمر الشعر

ام السحلية

اخضرا العينين

افراد العشيرة

تقف العشيرتان وجهاً لوجه . عشيرة الثيران البرية وعشيرة العقارب . الثيران البرية قصيرو القامة اقوياء البنية ، العقارب نحيفو البنية ، أكثر شحوباً ومظهرهم ليس شريراً بذلك المقدار ، كما أن الجلود التي يتسترون بها اكثر اناقة .

يخرج الخطيب من بين افراد عشيرة الثيران البرية . يبحث عن طريقة يجرح بها العقارب اقصى مايمكن . بالنتيجة يزأر ببلاغة ثم يختفي بين جموع أفراد عشيرته . بعد ذلك .

يتقدم عقرب شاب إلى الأمام . يفكر بطريقة الرد على تلك الاهانة ثم يبصق بشكل رمزي رشيق دون إحداث صوت باتجاه الثيران . ويعود إلى أهله كذلك .

يفكر افراد العشيرتين في الاهانة التي تلفوها ثم يشتبكون في معركة بدائية ضارية ، معركة وحشية .

تنتهي المعركة بخسارة الثيران الذين استلقوا دون حراك في مستنقع تخيم عليه الكآبة . تسمع من هنا وهناك انات ضعيفة لوحوش لا يمكن تمييزها . يطلق المحارب زئيراً متقطعاً وهو يتذكر اللحظات التي كان النصر فيها لايزال ممكناً ، رئيس العشيرة يجلس مسنداً ذقنه على ركبة رجله المريضة وقد أدرك اكثر من غيره مقدار المصيبة التي حلت بافراد

عشيرته . اما الخطيب فقد ظل حتى في هذه اللحظات متكبراً ذا نظرة حالمة ، طويل الأذنين نكس رأسه ولا ينظر الى احد . تتظاهر السلحفاة بأنها تنظر إلى الأمام بينما هي في الواقع تختلس النظر إلى طويل الأذنين ، السحلية حتى في هـذا الوقت العصيب تتفنن في أن تكون مغرية فنراها وقد انحنت باغراء ورشاقة وصالبت ساقيها الجميلتين .

المحارب : اسمعوا ما سأقوله لكم ، العقارب شعب ضعيف التحمل .

أفراد العشيرة : شعب ضعيف التحمل ، ضعيف التحمل .

المحارب : عجزوا عن اللحاق بنا ، أصابهم التعب .

أفراد العشيرة : أصابهم التعب ، أصابهم التعب .

الخطيب : هذه هي المرة الأولى التي رأيتهم فيها عن قرب ، لقد أثاروا فيّ شعور القرف لدرجة أني أردت ...

المحارب : (يقهقه) ، اردت ان تولي الأدبار ...

الخطيب : بعد هذه السخرية اراني مضطرا لقطع الحديث.

المحارب : بغض النظر عن النتيجـة يجب الاعتراف بأنني اخترت مكانا جيدا لنصب الكمين ، هبت الريح باتجاهنا ولهذا فإننا نجحنا بالتسلل نحوهم دون أن ينتبهوا إلينـا وهجمنـا عليهـم في اللحظـة المناسـبة .

الخطيب : عندما قفزت فجاة واطلقب صرخة المعركة ... جمد الدم في عروقهم ... إن صح التعبير .

المحارب : نعم جمد الدم في عروقهم . تعبير في محله ، كان يمكن التغلب عليهم بدون سلاح .

رئيس العشيرة : لكنهم للأسف تمالكوا انفسهم بسرعة .

المحارب : هاجمني أربعة منهم دفعة واحـدة . هاجمني أربعة عقارب .

الخطيب : رماك أحدهم بسهم ، وانا اردت اصطياد السهم ورده ضد الذي رماه .

رئيس العشيرة : ولماذا لم تفعل ؟

الخطيب : لأن المحارب رفعه ورمى به ذلك العقرب ، ثم صفر الرمح في الهواء وانغرز في حنجرة أحدهم .

المحارب : نعم انفرز الرمح ... تعبير في محله .

الخطيب : يمكن القول ايضا : اخترق الرمح ذلك الوغد في لمح البصر .

افراد العشيرة : في لمح البصر ، في لمح البصر .

طويل الأنف : حينها قفزت انا ...

المجدور : بل أنا قفزت أولا .

طويل الأنف : نعم ، قفزت انت أولا ، ثم قفزت أنا بعد ذلك ، قفزنا معا تقريبا .

المجدور : لاحظ العقارب أنني قفزت أولا فاندفعوا نحوي ، وعندما رماني أحدهم بسهمه تجنبته بكل مهارة .

طويل الأنف : بعد ذلك رماني عقرب آخر بسهمه ، لكني تنحيت عنه بكل مهارة أيضا .

المجدور : ثم رميت ذلك العقرب بالنبوت فخر صريعا يتخبط بدمائه .

طويل الأنف : انا أيضا رميت أحدهم بالنبوت فخر صريعا يتخبط بدمائه .

المحارب : إنك شاطر يا طويل الانف .

الخطيب : (**بحماس**) لقد شاهدت كل ما حدث . في بداية المعركة كاد العقارب ان يجنوا من الرعب ، حينها ادركت لماذا يطلق عليهم اسم « العقارب » ، لأنهم شريرون وجبناء في الوقت نفسه ، مستعدون للقرص دائماً من تحت لتحت إذا لم يكن في هذا خطر عليهم . لكن ما أن يواجهوا الخصم وجها لوجه حتى يتملكهم الذعر .

(يسمع أنين الجرحى وسعال وبكاء النساء .)

المجدور : وبدأتْ ...

الخطيب : كلنا بدانا ...

المحارب : كلنا بدأنا ملاحقتهم ولم نعد قادرين على التوقف .

طويل الأنف : ونسينا الخطر المحدق .

الخطيب : ماذا تعني بقولك : نسينا الخطر المحدق ؟ لا يفكر بالخطر المحدق إلا الجبناء . فليفكر العقارب بالخطر .

رئيس العشيرة : للأسف ، كلنـا نسينا الخطر المحـدق . فاحتل العقارب موقعا جيدا وقطعوا علينا طريق الانسحاب .

الخطيب : طبعاً ، لأن المكر من صفاتهم . المكر كما تعرفون سـلاح الضعفاء . كل ما في الأمر انهم امطرونا بسهامهم .

رئيس العشيرة : ونحن تراجعنا .

الخطيب : من الذي تراجع ؟ أنا لم الاحظ ذلك ، والأصح أن تقول إننا غيرنا اتجاه الضربة .

طويل الأنف : نعم غيرنا الاتجاه . ولكن انقضّ علينا عقارب آخرون وقطعوا الطريق علينا .

المحارب : كل هذا لا يهم . الأمر الأهم انـه كان بامكاننـا سحقهم بالهراوات كالجرذان .

الخطيب : صرختُ فيهم والجميع سمع صرختي : اهربوا وإلا فسيكون الهلاك مصيركم جميعا .

رئيس العشيرة : لكنهم لم يهربوا للأسف .

المحارب : تكمن العلة في ان سهامهم تطير أبعد من رماحنا . لو كان عندنا سهام كسهامهم لتغيرت نتيجة المعركة .

رئيس العشيرة : هذا بيت القصيد .

الخطيب : لم افهم ماذا تعني !

رئيس العشيرة : انه على حق . سهامهم تطير ابعد من رماحنا .

الخطيب : كل ما في الأمر أنهم يخافون الاشتباك بالأيدي . لهذا تراهم يطلقون سهامهم من بعيد . من مسافة امينة . ولو وصل الأمر الى الاشتباك بالايدي لتغيرت نتيجة المعركة . هل فهمتم ما أقول ؟ أما التشكيك بقدرتنا فصادر عن ضعف الايمان .

رئيس العشيرة : لولا طويل الأذنين لتغيرت نتيجة المعركة عن حق .

المجدور : وماذا فعل طويل الاذنين ؟ لم يره أحد في أثناء المعركة !

رئيس العشيرة : القى طويـل الأذنين جمرة ملتهبـة عـلى الشـجيرات اليابسـة التي احتشـد العقارب فيها فاشتعلت فيها النار ، وبفضل عمله هذا نجحنا في اختراق الحصار والهرب .

المحارب : للأسـف ، لم يقم طويل الأذنين بالقاء الجمرة الى الجهة المطلوبة .

الخطيب : لو انه القاها الى جهة اخرى لغيرنا طريق الهرب ولما وجـدنا انفسنا في هـذا المستنقع الآسن .
والآن ما العمل ؟ يستحيل التراجع لأن العقارب خلفنا . ويستحيل التقدم لأن المستنقع امامنا.
كما أن البقاء في هذا المكان مستحيل ايضا .

المحارب : أنت ... رئيس العشيرة . فكّر . نحن قمنـا بما يجب علينا . جاء الآن دورك .

النساء : فكر يا رئيس العشيرة . لقد فقدنا أزواجنا ، فقدنا أطفالنا ، وتعبنا من الهرب ...
– هرب يتلوه هرب . الى أين ؟ ولماذا ؟
– لا زلنا حتى الآن نسير في غاية لا بداية لهـا ولا نهايـة .
– مستنقعات لا حدود لها ! الا يمكن انها تغطي كافة أنحاء المعمورة ؟

رئيس العشيرة : لقد ارسلت الرجال مرتين لاستطلاع المنطقة وتحديد نهاية المستنقعات . لكنهم لم يعودوا للأسف . والآن لم يعد بامكاني المخاطرة بحياة غيرهم لأن عددنا أصبح قليلا .

الخطيب : وماذا لو جاء العقارب الى هنا ؟ حينها لن نستطيع الهرب منهم !

المحارب : ليس الهرب ، بل الانسحاب .

الخطيب : لم يبق مكان ننسحب إليه . كما أننا لا نعرف اي شيء عن العقارب . أين مكان وجودهم ؟ قد يكونون قريبين جدا منا وقد يظهرون هنا في أية لحظة !

رئيس العشيرة : يجب ان نرسل شخصا منا ليندس بينهم ويعرف كل شيء عنهم .

طويل الأنف : انا لا أصلح لهذه المهمة لأن رجلي مخلوعة .

الخطيب : اما أنا فموافق على الذهاب بكل سرور . لكن المشكلة في انهم سيكشفون امري فوراً بسبب حجم جسدي .

المجدور : انا مستعد للذهاب فوراً . لكني اخشى من عقم النتيجـة . فبمجرد رؤيتي لأول عقرب منهم سأفقد اعصابي واحطم جمجمته ولن استطيع معرفة شيء .

الطاووس : (**ينهض**) . أنا لا امانع في تقديم خدماتي ... لكن ... (**ينظر الى النسـاء**) . اترك القـرار للشـعب .

النسـاء : لا ترسلوه ، لا ترسلوا الطاووس .
ـ كثيرات منا فقدن أزواجهن . يجب ان يبقـى الطاووس معنا .
ـ مكانه هنا ، هنا .

طويل الأذنين : بإمكاني الذهاب، لكني لا اريد ذلك. لا يمكنني شرح السبب ... لكـن إن كـان هذا ضرورياً فسأذهب طبعاً .

المحـارب : (**يضحك**) . لا يريد ؛ لا يمكنه شرح السبب ! لا يا طويل الأذنين ...

السلحفاة : قال لكم ، إذا كان هـذا ضرورياً فسيذهب . أليس كذلك ؟ فما الداعي للضحك ؟

رئيس العشيرة : تكمن الصعوبة في انه لا يكفي أن يتسلل شخص منا الى المكان الذي يقطنه العقارب ، بل يجب أن يعيش هناك بعض الوقت ، كي يعرف لماذا تطير سهامهم أبعد من رماحنا .

المحارب : بالاختصار ، من تقترح لمثل هذه المهمة .

رئيس العشيرة : اقترح إرسال إمرأة .

(تكف النساء عن البكاء والسعال) .

المحارب : **كيف ! . . . إمرأة ؟**

الخطيب : ولماذا إمرأة ؟ لم افهم !

طويل الأذنين : هذا لا يمكن . سيقتلونها على الفور ، لأنها لا تستطيع الدفاع عن نفسها .

رئيس العشيرة : وإذا كانت إمرأة جميلة؟ تثير الرغبة في أحد العقارب لاختطافها ؟

المحارب : هل فكرت في العار الذي سيلحق بعشيرتنا ؟

رئيس العشيرة : هذا إذا اختطفها بالفعل . أما نحن فسنحملها بأنفسنا الى موطن العقارب كي يراها أحدهم

صدفة فيحملها على كتفيه وينطلق الى أهله سعيداً بهذه الغنيمة .

الخطيب : فكرة ممتازة . يحملها ولا يدري أنه يحمل حتفه الى بيته . ليست الفكرة سخيفة كما تبدو للوهلة الأولى .

المجدور : ماذا بكم ؟ انظروا الى نسائنا . اي مجنون سيفكر في اختطافهن ؟

الخطيب : هذا صحيح . وضع لا نحسد عليه . نحيفات جائعات ، ويسعلن باستمرار. من الذي سيرغب باختطاف إمرأة تسعل !

النساء : (**يتوقفن عن السعال**) . من يقول إننا نحيفات؟
- (**تشير الى صدرها**) ما هذا إذن ؟
- (**تشير الى عجزها**) وما هذا أيضاً ؟
- رجالنا عميت بصيرتهم الآن ولا يرون شيئاً . لكن ما ذنبنا نحن فيما حصل ؟
- وهذا الخطيب ! كانت عيناه في وقت السلم تلعبان ...

زوجة الخطيب : وما حاجة عينيه الى اللعب ؟ عنده زوجة !

النســـاء : اما الطاووس فحدّث ولا حرج !
ـ لا يفلت اي إمراة !

الطاووس : انا لم اقل شيئاً . ولا أخفي على أحــد ان كل النساء بالنســـبة لي جذابات فاتنـــات . افضّل المريضات والمصابات بالبــرد . فالرجــل الفحل ينبسـط بتدفئة المراة في احضانه .

رئيس العشيرة : ايتها النساء، هل انتن مستعدات للتضحية في سبيل العشيرة ؟

المحــارب : ولماذا السؤال ؟ طبعاً مستعدات .

الخطيب : خاصة واننـــا لن ننسى هــذه التضحية أبــد الآبدين .
(تضطرب النساء لأن التضحية في سبيل العشيرة لــم تطلب منهــن قبــل الآن ، واحتــرن في رد الجواب) .

رئيس العشيرة : إذن لنبدأ بالاختيار . أيتها النسـاء ، قفن في صف واحد. قفن بشكل نراكم فيه بشكل جيد.

الخطيب : اقترح استثناء النســـاء اللواتي عندهن ازواج (**لزوجته**) إجلسي انت .

رئيس العشيرة : لتقف اللواتي فقدن ازواجهن ، واللواتي لم يتزوجن بعد. **(تبدأ النساء بالتدريج فهم ما يراد منهن فيمسدن شعرهن وغير ذلك ليبدو مظهرهن جذاباً).**

السلحفاة : انا لا زلت صغيرة السن .

المحارب : هذا موضوع آخر سنبحثه فيما بعد . اما الآن فقفي في الصف .

السلحفاة : لم أبلغ سن الرشد بعد ، ولن أفهم من العقارب ما يفيد وما لا يفيد ، وإن فهمت فسأعجز عن الشرح لكم .

طويل الأذنين : هذا صحيح . إنها غبية وليست جميلة .

السلحفاة : **(بانزعاج)** . يكفينا جمالك . انظر الى اذنيك !

طويل الأذنين : أضف الى ذلك انني أعتزم الزواج منها ، لهذا فإنها لا تصلح .

رئيس العشيرة : ابتعدي .

(تبتعد السلحفاة وقد هدأ خاطرها . ينظر الرجال الى النساء بصمت . من الواضح ان السحلية فاقت الجميع بجمالها . فقد وقفت بحرية أكثر من غيرها مغطية صدرها بيديها والتواضع بادٍ على وجهها) .

ما رأيك أيها الطاووس ؟

الطاووس : سؤال في منتهى الصعوبة . جمال المرأة شيء نسبي . ولكل امرأة مزاياها التي لا تتكرر ، وما على المرء إلا إكتشافها فقط . وهذه موهبة لا يتمتع بها كل الرجال .

رئيس العشيرة : لا تبتعد عن الموضوع من فضلك !

الطاووس : إذا نظرنا إليهن نظرة المراقب الأجنبي ، ولنقل نظرة العقرب فإن السحلية في تقديري تشد النظر أكثر من غيرها .

المحارب : يبدو أنني اخشوشنت في المعارك أكثر من اللازم وأصبحت غليظ الفؤاد ، ومع ذلك أعتقد أن السحلية تروق للناظر أكثر من غيرها .

الخطيب : فيها شيء متميز . شيء خاص . هذا لا يمكن إنكاره .

المجـدور : لست ادري ماذا اقول . فوجهها ، وجسمها ، إلى آخره ...

طويل الأنف : رايي كراي الجميع .

طويل الأذنين : أنا أعارض .

رئيس العشيرة : ولماذا تعارض ؟

الخطيب : إنه أخوها ولا يحق له التصويت .

رئيس العشيرة : أيتها السحلية ... إنكِ تريدين الانتقام من العقارب على مصرع زوجك ذي الجبين العريض، اليس كذلك ؟

السحلية : نعم ، أريد الانتقام .

رئيس العشيرة : انت موافقة إذن على التضحية بنفسك في في سبيل عشيرتنا ؟

الخطيب : لفترة قصيرة !

السحلية : موافقة . لكن إن اختطفني احد العقارب فسأعضه .

رئيس العشيرة : يجب ان تمضي ، وإلا فسيشك في الأمر ، بعد ذلك ستعيشين بينهم حتى تعرفي لماذا تطير سهامهم أبعد من رماحنا . يجب عليك ان تعرفي الأداة التي يطلقون بها الأسهم . تذكري شكلها جيداً . وبعد جمع كل المعلومات التي نحتاج إليها تهربين وتعودين إلينا ثم تحدثينا بكل ما رأيت . لكن لا بد هنا من المكر .

السحلية : إنني ماكرة .

المحارب : تذكري جيداً ، إذا اعجبتك الحياة بين افراد تلك العشيرة وخدعتنا بدلاً من خداعهم فسنضطر لقتلك !

الخطيب : انا واثق من أن الامر لن يصل الى هذا الحد اما إذا قتلك العقارب فسأحدث اطفالنا عن بطولتك ... سأحدثهم عن المرأة البسيطة التي ضحت بحياتها في سبيل عشيرتنا .

السحلية : هل ستحدثهم عن شكلي وقوامي ؟

الخطيب : طبعاً ، ساروي لهم أجمل الحكايات عن وجهك الجميل وقوامك الرائع ... وكيف ضحيت

بكل هذا في سبيلنا . انت تعرفين طبعاً موهبتي في الحديـث ...

السحلية : اعرف طبعاً !..

رئيس العشيرة : البسوها فروة جديدة .

(يتقدم احدهم ويعطيها فروة جديدة تماما) .

هذه آخر فروة عندنا . حافظي عليها . وانتن ايتها الفتيات ابذلن كل ما بوسعكن كي تبـدو انيقة جميلة .

(تحيط النساء بالسحلية بعد ان يبعدن الرجال ثم يلبسنها الفروة الجديدة . وبعد ان تنفض حلقة النساء عنها تظهر السحلية بكل جمالها الفتان) .

رئيس العشيرة : والآن انظري حولك . وتذكـري جيدا كل ما ترين .

(تنظر السحلية الى جموع الجرحى المضرجين بالدماء ، والمرضى الذين هدهم الجـوع وحمى المستنقعات . يسمع انين البعض وبكاء الاطفال باصوات واهنة) .

السحلية : لن انسى هذا المشهد المؤلم ما حييت .

رئيس العشيرة : عودي بسرعة ، فنحن بانتظارك على احر من الجمـــر .

(يودعها افراد العشيرة ثم يلوحون لها بايديهم وينظرون في اثرها بحزن وامل)

* * *

السحلية والعقرب

تجمع السحلية الثمار البرية وتتظاهر بانها لم تلاحظ العقرب الشاب الذي كان يراقبها . تبذل السحلية جهدها كـي تبدو حركاتهـا ولفتاتها رشيقة جميلة . ينقض عليها العقرب فجـأة ويخطفها .

السحلية تقاوم وتحاول الافلات بالصراخ والعض لكن العقرب ينجح بايصالها الى أفراد عشيرته ثم يرميها أمامهم على الارض . تتخـذ السحلية وضعية تظهر جمالها الاكثر ، يقترب العقـارب منها واحدا بعد آخر ، نساء ورجالا ويمعنون النظر اليها . نساء العقارب شـاحبات الوجوه واضعف بنية من نساء الثيران البرية .

الخاطف : لست أدري .

المشـير : من هذه ؟

ام الخاطف : ما حاجتك اليها يا بني ؟

الخاطف : لقد اعجبتني .

(النساء يضحكن) .

المغنية نهارا : انها لا تتميز بالجمال يا عزيزي .

الخاطف : عندما تقف ، أو تنحني تبدو الطف .

امـــراة : ما اسمر بشرتها !...

اخــرى : وساقاها !...

الخاطف : السعادة ليست في الجمال .

المشـــير : ماذا اعجبك فيها اذن ؟

الخاطف : أعجبتني طريقتها بجمع الثمار .

النساء : **(يضحكن)** ـ كم تحتاج من الثمار ؟

ـ سنجمع لك ما يكفيك طوال الشتاء .

المشـــير : والآن لا بـد وأن ينتقم رجـال عشيرتهـا منا بسبب ما فعلت . وستنشب حرب جديدة لأن طريقتها بجمع الثمار قد أعجبتك ..

الخاطف: انها تعجبني بشكل عام .

المشير : حسنا ، ستعيش معك حتى تمل منها . وبعد ذلك ترجعها الى المكان الذي وجدتها فيه ، وتتركها تعود من حيث أتت .

المغنية نهارا : (**لأم الخاطف**) . كنت اريد ان أقول لك شيئاً . . . نسيت . آه تذكرت . أنا أعرف نقطة الضعف عند ابنك . انه ورثها عن والده . لكن قولي لهذا الطائش الاهبل ان كان لا يخاف على نفسه فيجدر به أن يخاف على هذه القميئة من حدوث مكروه لها .

ام الخاطف : سأقول له .

الخاطف ، ام الخاطف والسحلية

ام الخاطف : جئت بها الى بيتنا دون أن تعرف من تكون ومن اية عشيرة ؟ انظر اليها كيف تجلس غاضبة طبعاً ، وكيف لا تغضب ؟ اختطفتها وجرجرتها الا يمكن أن تكون شريرة بطبعها ؟

الخاطف : لا يا أمي ، ليست شريرة . كل ما في الامر انها متجهمة ، عندما كانت تجمع الثمار كان شكلها مختلفا تماما .

ام الخاطف : لو انها كانت جميلة !..

الخاطف : السعادة ليست في الجمال .

ام الخاطف : او لو انها كانت تتمتع بذكاء خارق !..

الخاطف : السعادة ليست في الذكاء .

ام الخاطف : وماذا بشأن صديقتك المغنية نهارا ؟

الخاطف : ساشرح لها ، وستفهم كل شيء .

ام الخاطف : اخشى ان لا تفهم .

الخاطف : هذا سيكون اسوأ لها .

ام الخاطف : او لك !

الخاطف : فليكــن .

ام الخاطف : لو انها كانت جميلة لقلت معك حق !

(قررت السحلية ان الوقت مناسب للمشاركة في الحديث) .

السحلية : **(بتواضع واحترام)** . تعجبني الحياة عندكم .

أم الخاطف : ارايت ، ها هي تشتمك .

المختطف : لـو كنتِ انت في مكانها وتعرضت للاختطاف لما كنت مسرورة أيضاً .

أم المختطف : لو خطفوني لشتمت بلغة مفهومة على الأقل . بالمناسبة بأي لغة ستتحدث معهـا ؟ وعن أي شيء ؟ طبعُ أبيك انتقل إليك بالوراثة . الجميع يعرفون أن والدك تولع بامرأة من عشيرة أخرى لفترة مـن الـوقت ، صدّقني سيحدث معك الشيء نفسـه . لكني أخشى أن لا تغيفر لك المغنية نهاراً حتى هذا الولع العابر . وإن كنت لا تخاف على نفسك فارحم هذه القميئة على الأقل .

الخاطف : **(يحول مجرى الحديث بسرعة ويشرح للسحلية)** الزوج والزوجة كالقوس والوتر **(يتناول قوساً ويريها اياه)** . قوس .

السحلية : قوس ...

الخاطف : هذا أنا . **(يشير باصبعه للقوس المحني)** . وهذا أنت . **(يمر بيده على الوتر)** . أنا وأنت .. قوس و وتر .

السحلية : (**تنتفض**) . ما هذا ؟ ما هذا ؟

الخاطف : (**يتناول سهماً من القراب**) . سهم .

السحلية : سهم ....

الخاطف: القوس يطلق السهم .

السحلية : كيف ؟ كيف ؟

ام الخاطف : يا لها من لغة بدائية ... خذها الى احمر الشعر فقد يستطيع التفاهم معها .

الخاطف : (**بلطف**) . لنذهب الى أحمر الشعر . إنه من عشيرة أخرى . وزوجته كذلك . وقد يفهمان لغتك التي تتكلمين بها .
إنهما مسروران من الحياة عندنا ، ومن يدري ربما تعجبك أنت أيضاً . إنهما يتمتعان عندنا باحترام الجميع . وسيحترمونك مثلهما .
(**يجرها خلفه**) .
(**لم ترفع السحلية نظرها عن القوس والسهام إلا بعد أن اضطرت للخروج خلف الخاطف**) .

احمر الشعر وزوجته

احمر الشعر وزوجته جالسان وايديهمـا ممدودة الى الموقد . يدخـل الخاطف بمصاحبة السحلية التي تتوقف جامدة دون حراك من المفاجاة . لأن احمر الشعر هو والدها الذي هرب من العشيرة وزوجته هي والدتها التي تركت عشيرة العقارب لتبحث عنه . وها هما جالسان امام الموقد . عندما يلتفتان إليها يعرفانها فوراً . لكنهما لا يفرحان ولا ينهضان لاستقبالها وضمها الى صدريهما . لقد شعرا بالخوف وتابعا الجلوس وايديهما ممدودة الى الموقـد على الرغم من أن النار كادت أن تحرقها ...

الأم : (تعود الى رشدها وتصرخ) بنيتي !

(تندفع الأم نحو ابنتها لكن احمر الشعر يلقيها ارضا) .

احمر الشعر : اجلسي !

الخاطف : هذه الفتاة من عشيرة اخرى لا اعرفها بالتحديد، وجئت بها إليكما على امل ان تنجحا في التفاهم معها . او فهم بعض مما تقول على الأقل .

احمر الشعر : لا أعتقد . (**لزوجته**) اسكتي أنت . (**لابنته**) وانت اسكتي . (**يتابع الحديث ببطء وبهدوء متصنع**) . لا يعرفون هنا من أي عشيرة نحن . ولا يجب أن يعرفوا . احذري من ذكر تلك الكلمة ، اسم عشيرتنا . اننا جئنا من المجهول ، وكل ما يعرفونه هنا أنني ضللت الطريق وبقيت للعيش معهم . بعد ذلك ضلت أمك طريقها كذلك واستقرت هنا ، ثم تزوجنا . مفهوم ؟

السحلية : مفهوم .

الخاطف : (**فرحاً**) . ها أنتما تعرفان لغتها !

احمر الشعر : لا نفهم إلا القليل مما تقول . وهي أيضا تفهمنا بصعوبة . كلمة من عشر . أما أنت فاخرج من هنا ، لاننا لا نستطيع التركيز بوجودك .

الخاطف : نعم ، نعم ! سأخرج حالاً . استفسرا منها عن كل شيء .

(**يخرج . فترة صمت يتاكد الوالدان بعدها أن الخاطف قد ابتعد) .**

احمر الشعر : ما الذي جاء بك الى هنا ؟

السحلية : لم اجيء بنفسي . اختطفوني بالقوة .

الأم : ألم تفهم بعد ؟ إنها بحثت عنا . بحثت عنا حتى وجدتنا !

احمر الشعر (**بتجهم**) . اين الثيران البرية الآن ؟

السحلية : لا اعرف . بعيدون من هنا .

احمر الشعر : لا تعرفين شيئاً ... كيف جئت الى هنا ؟

السحلية : اختطفوني . كنت اجمع الثمار فهجم علي ذلك العقرب وحملني على كتفيه ثم جاء بي الى هنا .

احمر الشعر : اذا كان الثيران بعيدين عن هذا المكان كما تقولين فلماذا كنت تجمعين الثمار هنا ؟

الأم : ما هذه الأسئلة التافهة ؟ المهم أننا اجتمعنا من جديد . وابنتنا ستعيش معنا . ألست سعيداً ؟

إنها ستحدثنا عـن بيتنا . عـن بحيرتنا ، عن التغيرات التي طرات على حياة الناس في غيابنا .
حدثينا عن كل شيء .

السحلية : جميع افراد عشيرتنا يتخبطون في المستنقع . بينهم الجريح والقتيل ومن يحتضر .

الأم : وطويل الاذنين ؟

السحلية : طويل الأذنين لا يزال حياً .

الأم : وطفلك الصغير ؟

السحلية : قتلوه وهو على يدي . السهم القاتل لا يفرق بين كبير وصغير .
(تطلق الأم صرخة) .

احمر الشعر : هس .. قد يسمعون صوتك !

الأم : أنت على حق .

احمر الشعر : يجب السكوت . يجب التزام الصمت الى الأبد ، وإلا فقـد يزلّ لسانك بمـا لا يلزم .
(يصرخ فجاة) يجب الصمت الى الأبد . هي ..

انتم هناك ! ايها العقارب والثيران ! إنني صامت
.. هل تسمعون ؟ أنا صامت !

الخاطف : (يدخل مسرعاً) . ماذا حدث ؟

السحلية : لم يستدعك احد .

الأم : **(برفق)** لقد تحدثنا معها عنك . إنها فتاةممتازة وحالفك الحظ باختطافها . **(للسحلية)** قولي له : « تـ ـ عال » ! يعني « تعال » . والأفضل أن تقولي : « تـ ـ عال ، يا ـ حـ ـ بيبي » يعني : « تعال يا حبيبي » .

السحلية : تـ ـ عال ، يا حـ ـ بيبي !

الخاطف : (بسعادة) تعالي يا حبيبتي ، تعالي يا حبيبتي !.

نســاء العقــارب

نساء العقارب مشغولات بنسج شبكة للصيد ، تجري العملية برشـاقة وبحركات متزامنة متناسـقة . يجلس في صف واحـد مستقيمات الظهور وتعلو وجوههن ابتسـامة رضية .

تقف المغنية نهاراً على انفراد وكأنها تقود ايقاع رقص ايديهن والسحلية تنظر إليهن بإعجاب بريء . المغنية نهاراً تشير لها الى المكان الذي يمكنها أن تحتله بين المجموعة .

تجلس السحلية بين النساء وتكرر حركاتهن دون أن تنجح في البداية ولكن بعد مضي فترة من الوقت تتكيف مـع الوضع وتجاريهن في الرشاقة والمهارة . تعطي المغنية نهاراً اشارة خاصة فتزداد حركـة أيدي النساء سرعة فتتأخر السحلية عن مجاراتهن .

المغنية نهاراً : يداها متخلفتان كأيدي القرود .

(تضحك نساء المقارب من السحلية فتنهض الأخيرة غاضبة وتهجم على المغنية نهاراً . لكن النساء يفتمن الشبكة في وجهها فتقع فيها ، ثم يزيد النساء في شربكتها بها اكثر ويدحرجنها على الأرض) .

السحلية : **(احتدمت غضباً)** . هي .. ايتها الزواحف المؤذية ! لم يطلقوا عليكم اسم العقارب عبثاً . حتى احط الرجال عندنا لايقبل الزواج بأمثالكن!

(يندفع الخاطف لمساعدة السحلية بعد أن سمع صراخها ، فتنقض عليه النساء من كل الجهات ويحطن به ويسخرن منه . يحمل السحلية على ذراعيه وينطلق بها إلى بيته) .

السحلية : كل هذا بسبب صاحبتك ! هي التي دبرت ماحدث ! طالما انك خطفتني فهذا يعني أنك زوجي ! اطردها ولتبحث لنفسها عن رجل آخر .

(يضعها الخاطف على الأرض) .

الشبكة !

الخاطف : **(يفرح لانه فهم ما قالت)** . الشبكة !

السحلية : فكني .

الخاطف : فكني !

السحلية : بسرعة .

الخاطف : بسرعة ، بسرعة ! **(يشرع في فك الشبكة ، ثم يحرر السحلية) .**

السحلية : أنت . **(تشير إليه باصبعها) .**

الخاطف : أنت !

السحلية : خطفتني ! **(تمثل له كيف خطفها وحملها على كتفيه) .**

الخاطف : خطفتني !

السحلية : إذن انا بالنسبة لك ـ زوجة .

الخاطف : زوجة !

السحلية : (تلتفت الى امه التي كانت تراقبهما بصمت) .
هو زوج ، وانا زوجة ، أنا زوجة ، وهو زوج .

ام الخاطف : (تهز راسها علامة الموافقة) . زوج .

السحلية : إذن عليه أن يدافع عني .

أم الخاطف : ماذا قال لك أحمر الشعر ؟

الخاطف : قال إنه يعرف عشيرتها . ونصحني أن أحبسها في البيت وأن لا أسمح لها بالخروج الى أي مكان وإلا هربت .

أم الخاطف : وأنت ، ماذا قررت ؟

الخاطف : أعتقد يجب علي أن أضربها مرة واحدة . وعندها سنرى .

أم الخاطف : لايصح ضربها بدون سبب .

الخاطف : الضرب بدون سبب أفضل . ستحترمني أكثر . **(يقترب من السحلية ويبتسم باضطراب ، ترد السحلية بابتسامة أخرى . وفجاة يصفعها . تستولي الدهشة على السحلية التي لاتدري سبب ضربها) .**

أم الخاطف : مشهد لا يدعو للسرور !

الخاطف : هذا ضروري ياأمي . ضروري . انظر ، إنها لم تزعل . معتادة على الضرب .

(يضعها مرة اخرى . تحمي السحلية وجهها بيديها بشكل عفوي فيظن الخاطف انها ارادت رد الصفعة له . اما هي فحاولت تذكـر غلطتها . وتذكرتها) .

السحلية : آ ـ آ ! هذا لاني تخاصمت مع النساء ؟
(تخر امامه على ركبتيها علامة على اعترافهـا بغلطتها) .

الخاطف : **(ينظر الى امه بانتصار)** . والآن سأذهب .عند الرجال اعمالهم . اما أنت فانتظريني هنـا . **(يفهمها بالاشارة ان عليها أن تجلس وتنتظره بشوق . تفهم السحلية مايريد ، ومع ذلـك تتبعه ، يتوقف ويعيد)** . هنا ! هنا !

السحلية : يجب على المرأة ان تشيع زوجها عندما يذهب . حتى تذكره بشكل أفضل . **(يتوقف الخاطف في حيرة)** . اذهب ياحبيبي .

الخاطف : **(سعيداً)** . اذهب ياحبيبي ! اذهب ياحبيبي!
(يخرج) .

السحلية : إنك انسان طيب . أنا سعيدة لأنه هو الذى خطفني بالذات . **(تتناول ام الخاطف قطعة من**

لحاء الشجر وعوداً وعلبتي دهان ، ثم تغمس العود في هذه العلبة تارة وفي تلك تارة اخـرى وترسم) .

السحلية : (**معجبة**) يا للدوائر الجميلـة ! ياللخطـوط المسـتقيمة ! هـل تسمحين لي ؟ (**تقـدم ام الخاطف علبة الدهان للسحلية فتغمس هذه يدها فيها وتمر باصبعها الخمسة على قشرة الشجرة فيعجبها مارسمت) .**

أم **الخاطف :** (**بيأس**) يا للبدائية !..

السحلية : ابنك صارم .. رجل حقيقي !

ام **الخاطف :** أصبح الناس اليوم أقصر قامة ، والنساء نادراً ما تلدن الأطفال .

السحلية : رجالكم شجعان ونساؤكم جميلات .

أم **الخاطف :** طردتنا العشائر الأخرى إلى الجبال فاضطررنا للعيش هنا .

السحلية : انا سعيدة لأن ابنك هو الذي خطفني .

أم الخاطف : ليتك تعودين من حيث أتيت . لأنك ستبقين هنا غريبة وسيتعذب هو بسببك .

السحابية : انك امرأة طيبة . وانا قررت العيش عندكم .

أم الخاطف : **(تتنهد)** . حديث الطرشان . .
(يدخل المشير)

المشير : امرت النساء بالمجيء إلى هنا ومصالحتها . . . ادخلن .
(تدخل النساء وهن تتضاحكن بعنوبة) .
ابدئي أنت . هيا .

المغنية نهاراً : **(تبتسم يديها لمتصالبتين فوق راسها)** .
لقد جئنا لمصالحتك !

المشير : تابعي الكلام .

المغنية نهاراً : على الرغم من انك لاتعجبيننا كثيراً ! **(تبتسم)**.
كان الأفضل لك أن تبقي هناك . . عند اهلك .

المشير : لاداعي لهذا الكلام الفارغ .

المغنية نهاراً : أمرنا المشير فجئنا لمصالحتك .
(تبتسم النساء للسحلية) .

السحلية : **(تبتسم وترفع يديها المتصالبتين)** . ليت الثعابين تعضكن ! اتمنى لكن البقاء عوانس طول الحياة ، ايتها الضفادع النحيلة . إنكن غير قادرات حتى على ولادة الأطفال ، فمن يحتاج لأمثالكن ؟ لكن ، لاباس . سنصفي حسابنا معكم قريباً جداً .
(ترحب النساء بكلمتها ويبتسمن بلطف) .

المشير : قمتن بالواجب فانصرفن الآن .
(تخرج النساء وهن يتضاحكن).
ادخل يا أحمر الشعر . **(يدخل احمر الشعر الذي كان ينتظر عند الباب)** . تحدث مع هذه الفتاة . يسرنا الاصغاء إليكما .

أحمر الشعر : إنها لاتفهم إلا بعض الكلمات .

المشير : تحدث معها ببطء .

أحمر الشعر : عن اي شيء ؟

المشير : حدثها عن عشيرتنا مثلا .

أحمر الشعر : (يجلس في مواجهة ابنته ويستغرق في التفكير . ثم يبدأ الكلام ببطء وكأنه يتحدث

مع أجنبي) . طلب مني مشير الشعب . أن احدثك عنهم . سأتكلم ببطء وستردين عليّ كذلك . المهم أن لا تذكري عشيرتنا في الحديث ... والآن قولي انت أي شيء . فكري وقولي شيئاً ما ، ولكن ببطء .

السحلية : لماذا يسمون بالعقارب ؟

احمر الشعر : لقد أطلقوا على انفسهم هذا الاسم حتى يثيروا الرعب في قلوب الآخرين .

السحلية : لماذا يهاجمون عشيرتنا باستمرار ؟

احمر الشعر : كنت أعتقد في السابق انهم هم الذين يهاجموننا . أما الآن فيبدو لي العكس .. نحن الذين نهاجمهم . وهكذا عندما هاجمناهم ، أي عندما هاجمونا ..

السحلية : تريد أن تقول عندما هاجمناكم !

احمر الشعر : خلاصة القول ، تظاهرت بالمرض ولم أقتل أحداً .

السحلية : انت الم تقتل أحداً ، أما هم فبذلوا كل مابوسعهم . هل يطيب لك العيش مع أعدائنا ؟

احمر الشعر : لاتنسي انك تعيشين معهم أيضاً .

السحلية : أعيش معهم لأنهم خطفوني . أما أنت فتعيش معهم عن طيب خاطر ، لأن الحياة هنا تعجبك أكثر .

احمر الشعر : **(يبتسم للمشير ويشرح له)** . غاضبة بسبب اختطافها .

السحلية : ابتسم لهم ... ابتسم !

احمر الشعر : ورغم ذلك تبدي إعجابها بالناس هنا .

المشير : قل لها إننا معجبون بها أيضاً .

احمر الشعر : يقول إنهم معجبون بك .

السحلية : سأشرح له مشاعري بنفسي **(تبتسم للمشير)** أيها العجوز الخرف ، إنني أقرفك حتى التقيؤ .
(يرد المشير بابتسامة مشابهة . تلتفت السحلية إلى أم الخاطف) .

أقرفك أنت أيضا وأتمنى أن يبتلعك المستنقع .

أم الخاطف : **(تبتسم للسحلية)** كم بودي أن يبتلعك المستنقع .

المشـــير : (**لأحمر الشعر**) . انصرف .
(**يخرج احمر الشعر ، يغلق المشير عينيه وكانه قد غط في النوم . ثم يقول فجاة**) . ادخلي ماذا تنتظرين ؟
(**تدخل ام السحلية وتقف عند عتبة الباب . ترمق العجوز بنظرة ملؤها التردد والخشية**) .
إجلسي . (**تجلس**) . هل تفهمين انــت أيضـــاً لغتهـــا ؟

أم السحلية : استطيع فهم جزء مما تقول .

المشـــير : تحدثي معها .

ام السحلية : عن اي شيء ؟

المشـــير : اسأليها كيف الاحوال عندهم هناك . وحدثيها عن احوالنا هنا . كلميها ولا تعيريني اي اهتمام .

أم السحلية : (**تلتفت الى السحلية وتسألها**) كيف الأحوال هناك .. عندنا ؟

السحلية : سبق وسألتني عنها .

أم السحلية : وماذا في ذالك ! إنك لم تحدثيني بشيء .

السحلية : هل هو الذي طلب منك أن تطرحي علي هـذا السؤال ؟

ام السحلية : أنا نفسي أرغب في سؤالك أيضاً .

السحلية : اذن هو الذي طلب منك .

(تنسى الأم انه يجب الحديث ببطء ، وكانهما لا يفهمان بعضهما البعض) .

ام السحلية : يجب أن تفهمي بأننا نعيش هنا حياة جيدة .

السحلية : يسعدني ذلك . هل تعرفين أن طويل الأذنـين أصبح يُلقب « بالجردون » ، لأن والدي أكل جرذاً في أثناء المجاعة وهرب !

ام السحلية : إذن عرفوا هذه الحكاية !

السحلية : عرفوا كل شيء ولا أعرف أين أخفي وجهي مـن الخجـل .

ام السحلية : وهل سلم بيتنا من الخراب ؟

السحلية : قد يكون سليماً ، ولكنه فارغ في جميع الاحوال لقد هجرنا ذلك المكان منذ مدة بعيدة . منذ أن

طردنا العقارب ونحن لا نزال هاربين . أما أنتم فتعيشون هنا حياة مطمئنة .

ام السحلية : (**للمشير**) . فتاة مسكينة . تحن الى ذويها . انها تركت هناك اخاها ، الذي بقي وحيداً ، لا أباً ولا أماً ولا اخوة لا أحد . مسكين . (**لابنتها**) هذا العجوز انسان لا بأس به رغم أنه عقرب .
(**السحلية تضحك**) .
أعجبتها الحياة عندنا . (**لابنتها**) . لا داعي لإغضابه. انهم عقارب طبعاً ، فماذا يمكن انتظاره من العقارب ؟ ورغم ذلك ليسوا أشراراً ، فالحق يقال . عندما وجدنا أنفسنا ، أنا وأبوك ، بينهم لم يسألونا حتى من أين جئنا ومن نكون ثم بدأوا يعلموننا كل شيء .

السحلية : يا للطيبة والشهامة ! لكن لا تنسى أن كثيراً من أفراد عشيرتنا مطروحون في الغابة بين قتيل ومقطع الاوصال . وهؤلاء حالفهم الحظ ، لان العقارب الطيبين أجهزوا عليهم في الحال ، أما الحظ الاتعس فبقي من نصيب من تركهم العقارب الطيبون للموت البطيء في المستنقعات . ينتظرون أن تفترسهم الوحوش الضارية أو أن

تلدغهم الثعابين السامة . والاطفال .. الاطفال يبكون طول الوقت .. انهم يموتون من البكاء

ام السحلية : (**تبكي ثم تتمالك نفسها بسرعة ، للمشير**) . انها تحن لأهلها ، تذكرت عشيرتها .. انها من عشير القطة المتوحشة .

المشير : ابك ، ابك ففي البكاء راحة .

السحلية : ابقيا للعيش هنا ، أما انا فلا بد لي من العودة . لكن لا تقولي له هذا الكلام . وان قلت لــه ؛ فساكشف سركما واقول له من أنتما ، أما ان حافظتما ، انت وابي ، على سري فساكتم سركما والآن ترجمي له أن الحياة هنا تعجبني .

ام السحلية : سبق وقلت له هذا . (**للمشير**) . انهــا تشكركم على معاملتكم الطيبة .

المشير : حسنا . انصرفي .
(**تخرج ام السحلية**) .
كلهم من عشيرة الثيران البرية . السحلية وذاك الشخصان .

ام الخاطف : هذا مستحيل ! احمر الشعر انسان طيب !

المشير : لقد رددوا كلمة « عقارب » ، وهذا اسم عشيرتنا بلغة الثيران البرية .

ام الخاطف : قلت له ، قلت له أعدها الى المكان الذي وجدتها فيه !

المشير : لكن من ناحية اخرى : طالما اتضح أن احمر الشعر وزوجته شخصان طيبان فلماذا لا تكون هي كذلك أيضاً ؟

ام الخاطف : غلطان ... أحمر الشعر انسان خبيث . لقد فهمت الآن لماذا تصنع المرض عندما هاجمتنا عشيرة الثيران البرية .

المشير : لم يرغب في القتال ضد عشيرته . موقف له ما يبرره .

ام الخاطف : كل مصيتنا في أنك تجد المبرر لكل شيء . ولهذا اضطررنا للنزوح الى الجبال . نختبىء هنا ، نخشى الجميع ونبرّر للجميع !

المشير : يبدو أنك على حق .

ام الخاطف أنا واثقة من أن الثيران البرية سيستجمعون قواهم ويهاجموننا من جديد . لا تنس أننا خطفنا احدى نسائهم .

المشير : يبدو انك على حق .

ام الخاطف : اذن سأصر على اعادتها .

المشير : لن نستعجل في هذا الامر . لتعش عندنا مدة من الزمن .

ام الخاطف : لكنك قلت لتوك إني على حق .

المشير : اغلب الظن انك على حق . ولكن هل فكرت فيما سيحصل ان اصغيت لرايك ونفذت ما تقولين ثم يتضح بعد ذلك انني انا المحق ؟ خطأ لن اغفره لنفسي .
(كانت السحلية تحاول طوال الوقت فهم حديثهما عنها ولكن دون جدوى . يدخل الخاطف) .

الخاطف : ها انا قد عدت .

المشير : (ينهض) . هيا بنا . ولنتركهما يتحدثان على انفراد .

ام الخاطف : بأية لغة سيتحدثان ؟

المشير : هذا شأنهما .

خاطف السحلية

يجثو الخاطف بالقرب من السحلية ويضمها من كتفيها فترفع يده وتضعها على ركبته . يصور لها أنه يعاني معاناة شديدة ثم يضرب يده التي أذنبت في لمسها بيده الاخرى عقابا لها . يكتشف الخاطف أن المشهد مسل للسحلية فيبدأ بممازحتها وتمثيل وجوه وحركات طريفة من حركات الخفة كأن يقطع إبهام يده ثم يعيده الى مكانه أو أن يدور دلوا مليئاً بالماء دون اراقة قطرة واحدة منه .

لا يجب أن ننسى بأن هذه الحيل كانت قد اخترعت في ذلك العصر من تاريخ البشرية لاول مرة .

يعرض الخاطف على السحلية تعلم هذه الحركات والحيل . يعلمها في البداية تدوير الدلو المليء بالماء فتنجح في ذلك !

فجأة يندفع الى الكوخ ذئبان وهما يعويان ،

تصرخ السحلية . ينفض الوحشان على الخاطف وبدلا من أن ينشبا انيابهما في جسده شرعا بلعقه بلسانيهما الأحمرين فيمسّد على فروتيهما ويدس يديه في شدقيهما .

الخاطف : هي .. تعالي الى هنا !

تقترب السحلية منه بعد تردد لانها لا تريد أن تبدو أقل منه شجاعة ، فالسمعة أغلى من الحياة احيانا . تحس بأنفاس الوحشين على وجهها .

يناولها الخاطف عظمتين فيتقافز الذئبان امامها في انتظار الحصول على الطعام من يدها . تلقي السحلية العظمتين على الارض فينقض الذئبان عليهما ويلتهمانهما ، ثم يعودان اليها ويلعبان ويتمرغان عند قدميها . يتناول الخاطف يد السحلية ويقودها خلفه فيتبعهما الذئبان ويفهم من تصرفاتهما أنهما على استعداد للانقضاض على السحلية وافتراسها لولا احساسها أنها تحت حماية الخاطف . يلتفت الخاطف اليهما ويقول لهما ما يفهم منه أنه غاضب منهما . ينظر الذئبان اليه نظرة خضوع وخيبة أمل ثم يرتدان على أعقابهما وينصرفان .

يركب الخاطف والسحلية قارباً محفوراً من جذع شجرة ويسبحان فيه بالنهر . يجذف الخاطف بالمجذاف من طرف الى طرف والسحلية تقف خلف ظهره وقد سيطر عليها الخوف ، تنحني مع انحناءاته الى اليمين تارة والى اليسار تارة أخرى .

كانت العملية مخيفة في البداية ثم أصبحت مخيفة ومسلية معاً ، وفي نهاية الامر تبقى مسلية فقط .

المشير والمغنية نهاراً

المشير : انني افهمك ، وافهم وضعك الصعب . الخيانة محزنة دائماً ، ولكن ما العمل ! في سبيل الحب لا يصلح النضال إلا بالحب . والغضب هنا لا يحل المشكلة .

المغنية نهاراً : لست غاضبة ، لكنني لا استطيع ان اغفر الاهانة ، إنه لم يهني انا فقط ، ولكنه أهان جميع نساء عشيرتنا .

المشير : ومع ذلك يجب أن تصالحي السحلية وأن تكوني صديقة لها .

المغنية نهاراً : لماذا ؟

المشير : ليس ذنبها ان اعجبت هذا الأهبل .

المغنية نهاراً : اعجبته هو ، أما انا فلا تعجبني .

المشـير : اريدك ان تفهميني . نحن بحاجة الى نساء من عشائر اخرى. هذه سنة الطبيعة ، سيعجبن رجالنا حتى ولو كن غير جميلات اما انتن فستعجبن رجال العشائر الاخرى وسيقومون باختطافكن ايضاً .

المغنية نهاراً : لا اريد ان يختطفني احد .

المشـير : انك مخطئة ، وساشرح لك لماذا ، في السنوات الاخيرة ازداد جفاف ارحام نسائنا وقلت ولادات الاطفال عندنا . اما رجالنا فيشيخون بسرعة مذهلة . وإن استمر الحال على ماهو عليه فستنقرض عشيرتنا ويضمحل اثرها . في هذا الوضع الخطير لا ارى الا مخرجاً واحداً ..

المغنية نهاراً : وماهو ؟.

المشـير : نختطف نساءهم ونسمح لهم باختطاف نسائنا . ولا بأس بعد ذلك من ان لايشبهنا اطفالنا كل الشبه ، لانهم بالمقابل سيكونون اصحاء الابدان كالثيران البرية . هل تدرين لماذا انت اكثر جراة ومرحاً وتحملاً من الاخرين ؟ لان امك كانت من عشيرة اخرى .

المغنية نهاراً : اعرف انها كانت من عشـــيرة اخـرى لكنـي عقربة !.. اغني بلغة العقارب!.. انا من عشيرة العقارب المجيدة .

المشـــ : ومن أجل عشيرة العقارب أطلب منك انت العقربة ان تصادقي السحلية .

المغنية نهاراً : هل هي من عشيرة الثيران البرية يا والدي ؟

المشـــير : هذا مالا اعرفه ، ولا أريد معرفته .

المغنية نهاراً : إذن فهي من عشيرة الثيران البرية !

المشـــير : الأفضل لنا ايجاد طريقة للعيش بسلام مع عشيرة الثيران البرية ، وإلا سياتي وقت يستجمعون فيه قواهم وتنشب بيننا حرب جديدة لا يستطيع أحد أن يتنبأ بنتيجتها .

المغنية نهاراً : أليس الأفضل أن نقضي عليهم الآن قبـل أن يستجمعوا قواهم ؟

المشـــير : سأقول لك مالم اقله لشخص آخر ابداً . وإن بدا لك كلامي مضحكاً فانسيه تماماً وكأنك لـم تسمعي شيئاً .

المغنية نهاراً : حسنا يا والدي .

المشـير : لن يحدث هذا في القريب العاجل .. ومع ذلك سيحدث . يبدو لي أننا سنرسل رجالنا إلـى الثيران البرية يوماً ما بدون أسلحة .

المغنية نهاراً : نعفو عن كل اساءاتهم ونسامحهم ! لهذا السبب في رايك لجأنا الى هذه الجبال القفراء ، كي نعيش فيها حياة بائسة ، نتفهم الآخرين ولا نضايق أحداً !

المشـير : الثيران البرية بدورهم سيعرضون على رجالنـا الجلوس قرب مواقد النار ، يقدمون الهم الطعام ويتحدثون معهم عن الطقس وصيد الاسماك . ثم يردون لنا الزيارة بدون سلاح فنقدم لهم الطعام ونحدثهم عن الصيد .

المغنية نهاراً : إنك طعنت في السن ياوالدي .. اصبحـت عجوزاً !..

رقصة العقارب

يرقص العقارب ويتمايلون في المكان أزواجا دون امساك الأيدي ، عقرب وعقربة ، عقرب وعقربة . يرقصون دون النظر إلى بعضهم البعض وعيونهم شاردة ، كأنهم جاءوا إلى هذا المكان صدفة .. لايدركون كيف ولماذا جاءوا إلى هنا . رقص العقارب يختلف عن رقص الثيران البرية ، في لحظة من اللحظات يبدو أنهم على وشك التوقف والانصراف .. وهنا تبدأ السحلية رقصتها التي تتميز بالتحرر والانسيابية وتكاد تلامس الأرض بانحناءاتها . ترقص بنشوة وسعادة معبرة عن قوة عشيرتها وحبها للحرية ، مصورة الانتصارات التي بانتظارها والجمال الوحشي للحيوانات التي يصطادها رجال عشيرتها ترقص لتبرهن للحاضرين تفوق النساء والرجال من الثيران البرية الذين سرعان ماسيثبتون للعقارب أنهم يجيدون فن الحرب أيضاً .

تتوقف السحلية أخيراً والنشوة بادية على وجهها لانها أرتهم كيف يكون الرقص الحقيقي .

المغنية نهاراً : حركات جسمها مبالغ فيها . ولست ادري إن كان جميع أفراد عشيرتها يرقصون بهذه الطريقة! على كل حال ، لاداعي للقسوة في اطلاق الأحكام . (للأم السحلية) . قولي لها إنها فتاة جيدة ، في البداية كرهتها كراهية عمياء ، أما الآن فسأحبها وأريد أن أصادقها ..

أم السحلية : إنها تريد أن تصادقك ..

المغنية نهارا : انها تفهمك جيداً ! يبدو أن عشيرتيكما جارتان قريبتان !

أم السحلية : قريبتان جداً ...

المغنية نهارا : قريبتان جداً ؟ اي في المكان نفسه ؟ لا بأس ، اني أفرح. اما الرقص ففيه شيء يجتذب الانسان فعلا . سأحاول بدوري ((**للطبالين**)) ، ابدأوا . (**تتمايل في رقصة تجاري رقصة السحلية**) . ما رأيك ؟

السحلية : (**مضطرة للاعتراف**) . جيد .

المغنية نهارا : اساليها ، الا تريد النزهة معي ؟ ساريها كل شيء واحدثها عن كل شيء .

ام السحلية : تسألك ان كنت تريدين النزهة معها . ستريك كل شيء .

السحلية : أريد .

ام السحلية : تريد .

المغنية نهارا : متى تريد ؟

ام السحلية : تسأل متى . لا انصحك بالعجلة ... ستخنقك !

السحلية : سنرى من سيخنق الآخر ... اريد الفرجة على الجبال في الصباح البكر ، جبال جميلة .

ام السحلية : تريد الفرجة على الجبال في الصباح ... ستكونين غبية ان ذهبت معها .

السحلية : قولي لها أنا أيضاً أرغب في صداقتها ...

المغنية نهاراً : صدا . . قتها ! صدا . . قتها ! **(تلوح بيدها للسحلية وتختفي بين الجموع . يشرع العقارب بالتمايل في رقصة حزينة) .**

السحلية : (**لأحمر الشعر**) . سأعود غداً الى عشيرتي .

احمر الشعر : كلا ، لن تذهبي .

السحلية : بودي ان اعيش هنا فترة أخرى من الزمن ، لكن ما باليد حيلة . يجب أن أعود .

احمر الشعر : سأطلب منهم وضع رقيب عليك .

السحلية : لست أشكو من الحياة هنا ، فالخاطف انسان طيب القلب ، لم يضربني الا بحق وهذا شيء طبيعي لا ينبغي الغضب منه . أما أنه ولد عقرباً فهذا ليس ذنبه . خفيف الظل كثير المزاح كطويل الاذنين ، حتى انه يتفوق عليه بالطرافة . انه يعجبني ، ورغم ذلك لم اعد استطيع البقاء اكثر سارحل صباح الغد .

احمر الشعر : لقد فهمت فوراً سبب وجودك هنا . الثيران البرية ماكرون لكني أمكر منهم . انك لن تغادري هذا المكان .

السحلية : (**لأمها**) . يوجد في بيتكم قوس يطلق منه العقارب سهامهم . علقيه هذه الليلة على غصن الشجرة ذات الفرعين .

ام السحلية : وما حاجتك له ؟ القوس للرجال فما حاجتك أنت اليه ؟

السحلية : احتاجه يا أمي ، احتاجه . لكن لا تقولي لاحد .

احمر الشعر : سأطلب منهم أن يربطوك الى الشجرة ويمنعوك من مغادرة هذا المكان .

السحلية : وعندها سأقول لهم انكما من عشيرة الشيران البرية ! سأفشي سركما لهم .

(العقارب يصغون الى حديثهم)

أم السحلية : كان جدالنا حول الرقص . نحن يعجبنا الرقص البطيء ، أما هي فيعجبها الرقص السريع . لا زالت شابة بعد ...

(يضحك العقارب ويربتون على كتف أحمر الشعر والسحلية . ينظر احمر الشعر اليهما بغضب وحنق . أما الأم فتحاول ما استطاعت الاحتفاظ بابتسامتها . يتابع العقارب رقصهم البطيء) .

السحلية والخاطف

السحلية : انت ماهر في اصطياد السمك .

الخاطف : انت تختلفين عن نسائنا .

السحلية : إنك طريف جداً . مزاحك يثير الضحك . .

الخاطف : إنك لا تشبهين نساءنا . جميلة ومفعمة بالصحة والعافية .

السحلية : ليتك كنت من أفراد عشيرتنا ، وحينها كان بالامكان أن أتزوجك . بصراحة ، لم تعجبني في البداية كثيراً . أما الآن فقد تعودت عليك . أنت إنسان طيب .

الخاطف : تعجبني انحناءتك الرشيقة عندما ترفعين شيئاً عن الأرض . كما أن التفاتتك ساحرة ، وغالباً ما أناديك من الخلف متعمداً حتى أتمتع بالتفاتتك الجميلة .

السحلية : لو انك عشت في عشيرتنا لأمكن ان تعجبك فتاة اخرى . لكنيّ والحقُ يقال احسنُ النساء هناك . هذا امر مفروغ منه واعترف به كل رجالنا .

الخاطف : يا للروعة ، استطيع قول ما اريد وانت لا تفهمين منه . انا خطفتك ، إذن انت لي . ومع ذلك لا أريدك أن تغضبي . لم اقل لأحد إنك لست زوجتي بعد . ولا أدري ماذا افعل !

السحلية : كنت أعتقد أن العيون للنظر فقط .. حتى لا يتعثر الانسان ويقع ، وحتى يعرف من يقترب هناك. أما الآن فأدركت أنه يمكن النظر في العيون ذاتها ... لقد خلقت العيون كي ننظر إليها ! ..

الخاطف : لن أختار زوجة أخرى غيرك أبدا . وإن تخاصمنا فسأنتظر حتى نتصالح ، ولن أبحث عن غيرك أبداً .

السحلية : كنت اعتقد في السابق ان العيون مسطحة صقيلة .. ولكن اتضح الآن أنها ليست كذلك ...

الخاطف : من الجيد انك لا تفهمين كلماتي . لو كانت مكانك امراة من عشيرتنا لما قلت لها ما يعتمل في صدري كما افعل الآن لأنها ستشتط وتكف عن احترامي . اما انت فيمكنني ان اقول لك كل شيء .

السحلية : من المعيب ان اكون زوجة لعقرب .. لكنّ أهل عشيرتي ارسلوني لهذه المهمة بالذات ، كي أقدم نفسي ضحية . اريد ان اكون ضحيتك . من المؤسف انك لا تفهم شيئاً مما اقول . إن رحلت عنكم فستنساني وكأن شيئاً لم يكن .. لن يبقى لنا إلا الذكرى . وعندما تنمحي صورتي من خيالك تتزوج المغنية نهارا ، التي اشك في قدرتها على الغناء أصلا ...

الخاطف : نعم ، نعم ، لقد برد الجو ، وأراك ترتجفين . شكراً لحديثك الطويل الممتع معي . أحب الأحاديث الطويلة معك . اعتقدت في البداية انك

قليلة الكلام . واتضح الآن عكس ذلك .

السحلية : **(بتسم له)** . نعم !

الخاطف : **(يهز راسه بسعادة)** ، نعم ، نعم !

(تضحك بعد أن فهمت هذه الكلمة) .

السحلية : (تهز رأسها أيضا) . نعم ! نعم ! نعم !

الخاطف : (يضحك) . نعم ! نعم ! نعم !

(تسمع اصوات احتجاج من الكهوف القريبة :
من هناك ؟
ما هذا الصخب والناس نائمون !..
يضع اصبعه على فمه ويغالب الضحك) .
نعم ! ها ، ها ، ها !

السحلية : (تضع اصبعها على فمها وتتابع الضحك بصوت خافت) . نعم ! ها ، ها ، ها ! نعم !

في الصــباح

يتسلل ضوء الفجر الى الكهف فتفتح السـحلية عينيها وتجلس . ينام الخاطف بالقرب منها وفمه مفتوح . إنه الآن اقرب الى الطفل من الرجـل البالغ . تنظر السحلية الى وجهه ملياً ، ثم تنحني وتلمس خده بخدها . يحرك الخاطف راسه في المنــام .

السحلية : (**همسا**) ، نم ، نم . انا نائمة أيضا . الجميع نائمون .

(تنهض بهدوء وتخرج ...)

السحلية ، احمر الشعر ، وام السحلية

السحلية : اريد قوساً .

احمر الشعر : لا يوجد عندنا إلا قوس واحد . وانا احتاجه

السحلية : اصنع لنفسك قوساً آخر .

ام السحلية : لا تورطي نفسك في مسالة خطيرة ستعقد الأوضاع اكثر !

السحلية : إنني انسى احياناً مع من اتحدث: مع الثيران البرية ام مع العقارب !

احمر الشعر : إنك تفهمين الأمور بشكل خاطىء ، ولو عشت هنا فترة اطول . . .

ام السحلية : اسكت . لا داعي لهذا الكلام . . .

احمر الشعر : اعرف . لتغلق اذنيها إذن حتى لا تسمع ما اقول . غطّ اذنيك بيديك إن اردت . اما انا

فيجب ان اشـرح لك الحقيقة وبعـد ذلك لـك الحرية في ان تتصرفي كما تريدين .

السـحلية : (**تغلق اذنيها بكفيها**). لا تطل الكلام فالوقت ضـيق .

احمر الشعر : العقارب يا ابنتي ليسـوا اناساً سيئين كمـا تظنين . إنهم لا يريدون الحرب ويكرهون القتل . طبعاً انت لا تصدقين ما اقول ، ومع ذلك فهذه هي الحقيقة . لو انك عشت هنـا معنا لرايت الأمور من منظار مختلف تماماً . إنهـم هاجروا الى هذه الجبال حتى يتقوا شر الآخرين ويعيشوا بسلام . لا تصغ لما يقال .

السحلية : إني لا اصغي ، ولكن لقلق الموضوع بسرعة .

احمر الشعر : لو كنت تدرين ما اصـعب حياتهم في هـذه الجبال ، فالصخور غالبـاً ما تنهار مـن القمـم العالية ، والمراة التي تحب رجـلاً ما ، تضـطر للنظر الى الأعلى باستمرار تحسباً مـن سقوط الأحجار عليها فجـأة . يجب أن تفهمي وضعهم يا ابنتي ، يجب !

السحلية : **(ترفع يديها عن اذنيها)** . وهكذا فإنني لم اسمع شيئاً . وإن عدت بدون القوس فاعتبروني ميتة ...

ام السحلية : دعها تاخذ القوس ...

(يجلس أحمر الشعر منكس الرأس) .

السحلية : **(تاخذ القوس)** . الوداع ...

(تركض السحلية والقوس في يديها . فجأة تظهر المغنية نهاراً امامها) .

المغنية نهاراً : ما رأيك في أن نشم الهواء معاً ؟

السحلية : لا بأس .

المغنية نهاراً : ولماذا القوس ؟

السحلية : سنصطاد به .

المغنية نهاراً : قوس واحد ونحن اثنتان !

السحلية : وما المانع ؟

المغنية نهاراً : إذن سيكون من نصيبي .

السحلية : سنرى .

(تهجم على المغنية نهاراً ويجري صراع شرس بينهما ، صراع امراتين من قبيلتين عدوتين . بالنتيجة تتغلب المغنية نهاراً على السحلية وتخطف منها القوس والسهام) .

المغنية نهاراً : (باحتقار) . والآن عودي إلى عشيرتك .

(تنهض السحلية وهي تلملم اذيال الخيبة والاهانة ثم تتوجه الى المستنقعات التي تنتظرها فيها الثيران البرية . يتابع احمر الشعر وزوجته ابتعاد ابنتهما بصمت . يشد اثنان من العقارب وتري قوسيهما ثم يطلقان . في اللحظة نفسها يخترق سهمان جسدي أحمر الشعر وزوجته . يقترب العقربان من المغنية نهاراً بانتظار تعليمات اخرى) .

ـ اتبعاها حتى تصل الى الثيران البرية . ويجب أن نعرف المكان الذي يختبؤون فيه . وهناك اقضيا عليها .

(يحني العقربان راسيهما علامة الطاعة ثم ينطلقان خلف السحلية . يظهر المشير) .

المشير : أين السحلية ؟

المغنية نهاراً : هربت . احمر الشعر وزوجته ارادا الهروب معها أيضاً .

المشير : اين هما ؟

المغنية نهاراً : قتلهما أصدقائي .

المشير : لماذا ؟

المغنية نهارا : للضرورة .

المشير : لكنك اردت النزهة معها بينما الجميع ينام . فلماذا لم ينم أصدقاؤك وكيف تفسري وجودهم هنا ؟

المغنية نهاراً : صدفة !

المشير : هل السحلية حية ؟

المغنية نهاراً : نعم .

المشير : لماذا لم يقتلوها أيضاً ؟

المغنية نهاراً : لم يروا ضرورة لذلك .

المشـــيـ : اصدقاؤك سفلة . احط الناس في عشيرتنا . إستدعهم الى هنا حالاً .

المغنية نهاراً : ذهبــوا .

المشـــيـ : الى ايـن ؟

المغنية نهاراً : ذهبوا خلف السحلية ؟

المشـــيـ : ولماذا ؟

المغنية نهاراً : ارسلتهم في مهمة .

المشـــيـ : ايــة مهمة ؟

المغنية نهاراً : معرفة مكان الثيران البرية .

المشـــيـ : اسمعي .. الثيران البرية مهزومون .. مرضى وجائعون ، فما حاجتكم إليهم ؟

المغنية نهاراً : هناك حاجة .

المشـــيـ : بدي تؤلمني .. طول الصباح !

المغنية نهاراً : إنك طعنت في الســن يا والــدي . والأمراض رفيق الشيخوخة .

(يندفع الخاطف داخلاً) .

الخاطف : اين السحلية ؟

المغنية نهاراً : هربت . هربت رغم كل جهودك !

الخاطف : انت التي اطلقتها ! إنك اطلقتها عن قصد .. طردتها . (**يضربها**) .

المغنية نهاراً : اركض وراءها وابحث عنها .. إلحقها ! (**تصرخ لوالدها**) . ارأيت؟ إنه ضربني! وبسبب من ؟ هل ادركت الى ماذا يقود كل هذا أيها الشيخ الحكيم ؟ كلنا أصبحنا حكماء ، وهنا كل المصيبة . لقد نسينا تلك الأوقات التي كنا فيها اقوى بني البشر . إنك تريد مصالحتهم ، حتى انك مستعد لتقديم الاعتذار وطلب العفو ، لكن ممن؟ من الثيران البرية، الذين هاجمونا فهزمناهم وطردناهم دون أن ننجح في القضاء عليهم نهائياً ؟ كان يجب القضاء عليهم . القضاء عليهم ، القضاء عليهم !

السحلية في طريق العودة

تركب السحلية جذع شجرة يسبح بها في نهر مرعب وعلى مسافة غير بعيدة يلاحقها عقربان من اصحاب العيون الخضر ويبذلان جهدهما كي لا تلاحظهما السحلية . تسمع من ضفاف النهر صيحات الطيور وزئير الوحوش . يخرج من بين الأشجار وحش ذو فراء مخطط تتدلى عضلات رقبته على شكل حلقات ، جاء الى الضفة للشرب ، ينظر الوحش الى السحلية دون ان يرف لـه جفـن وكأنه كان ينتظرها ويعرف أنها لا تستطيع العودة الى الخلف ، وفجأة حدث شيء غير مفهوم ، فقد قفز النمر وهو يزار زئيراً مرعباً ثم شرع بلحس خاصرته .

لو التفتت السحلية الى الخلف لرات قارباً فيه عقربان اصاب احدهما النمر بسهمه ، لكنها تابعت التجذيف ، مرة الى اليمين واخـرى الى اليسار . اما العقـربان فواصلا ملاحقتها دون أن يحاولا الاقتراب منها .. مجذافان الى اليمين ، ومجذافان الى اليسار .

كانت مهمة الحراسة في ذلك اليوم من نصيب المجدور وطويل الأنف الذين جلسا متلاصقي الظهر وقد تجمدا من البرد . يقع نظر السحلية عليهما فتهرع نحوهما وهي تتشبث بالجذور والأعشاب .

السحلية : (**تصرخ**) . هذا أنا ، هذا أنا !
(**تلقي بنفسها عليهما وتقبلهما . ينهض افراد العشيرة المستلقون على جذوع الاشجار في المستنقع**) .
هذا أنا ! السحلية ! لقد عدت اليكم .
(**تطلق النساء صيحات الفرح والضحك . يتجمع حولها في لهفة**) .

رئيس العشرة : عدت اخيراً . طال انتظارنا لك . اجلسي .
(**تجلس**) كلنا آذان صاغية . تكلمي .

السحلية : (**بحرارة**) . كما تعلمون ، اختطفني عقرب .. شاب .
(**صيحات نسائية مرحة**) .
حملني واخذ يتعثر . رجالهم صغيرو الحجم .
حملني الى أهل عشيرته ثم وضعني على الأرض فتجمع الناس حولي وأخذوا ينظرون إليّ ويتحدثون بلغة غير مفهومة ، ورغم ذلك كان من

الواضح انهم اندهشوا من شكلي . هناه الرجال على صيده ؛ اما النساء فاكفهرت وجوههن وتهامسن غيرة من المنافسة الجديدة . وجوههن شاحبة ، لا شكل ولا قوام ... وهنا **(تشير الى صدرها)** ، لا شيء تقريباً ... **(تضحك . يضحك النساء) .**

النساء : والملابس ؟
كيف كانت ملابسهن ؟

المحارب : هدوءاً ! كفى ثرثرة .

السحلية : يلبسن الجلود التي نلبسها ، لكن صناعتها افضل . الصدر مفتوح هكذا ، رغم أنه لا يوجد هناك ما يستحق التستير . اما من الأسفل فملابسهن اقصر . وفيما يخص الحلي والزينة فليس هناك ما يلفت النظر .. أقل من عادية .
(ضجيج النسوة من جديد) .

الطاووس : دعينا من الجلود وحديثنا عن الجوهر . هل يوجد بينهن جذابات .. جميلات ؟

النساء : **(باشمئزاز)** . هذا المهووس لا يشبع .. سال لعابه ويريد الآن عقربة !

انظر الى نفسك ! من ترضى بك ؟
حدثينا عن صاحبك ، هل أعجبك الشاب الذي خطفـك ؟

المحارب : ما هــذا يا جماعة ؟ هــل سندخل في الموضوع أم لا ؟

رئيس العشيرة : لا تستعجل ، والزم الهدوء . كل ما تقوله السحلية له أهميته .

المحارب : اسمح لي يا رئيس العشيرة أن أسألها : هــل ينوي العقارب مهاجمتنا ؟

السحلية : الحق يقال ، لا ينوون ذلك . انهم اناس خاملون على العمـوم . ينامون ساعات طويلة . وحتى عندما يرقصون تراهم أقـرب الى النائمين .. عقـرب وعقـربة .. شيء مضحك ! يرقصون زوجاً زوجاً !

رئيس العشيرة : يحبـون النـوم ، ومــع ذلك دفعونا الى المستنقعات !

الطاووس : يعجبني رقصهم .. زوجـاً ، زوجـاً ! شيء لطيف .

المحارب : كفاك هذراً . (**للسحلية**) . حدثينا اخيراً عن سر بعد مدى سهامهم .

السحلية : (**باضطراب**) . لقد عرفت كل شيء ! إنهم يطلقونها بالقوس . وقد اخذت واحداً منها معي لكي اريكم اياه ... ولكن عندما كنت في طريقي إليكم .. أضعته في الطريق ...

المحارب : اضعته ! شيء مؤسف . هل تستطيعين وصف القوس ؟

السحلية : طبعاً استطيع . إنه عبارة عن .. قضيب هو بمثابة الزوج ، مربوط بشيء هو بمثابة الزوجة .. من هنا (**تريهم كيف**) .

المحارب : بأي شيء يربط القضيب ؟

السحلية : لست ادري .

المحارب : وكيف يربط ؟

السحلية : اعتقد من هنا .

المحارب : (**يقلدها**) اعتقد من هنا . هل رأيت سلاحهم فعلا ، أم انك تكذبين ؟

السحلية : إني اقول الحق .

رئيسا لعشيرة : يحتمل انها راته ثم نسيت شكله .

المحارب : (**بخيبة امل**) نَسيَتْ ! شيء مؤسف ، مؤسف جداً .

الخطيب : خلاصة القول،لم تحضري معك شيئاً ولا تذكرين شيئاً . كأنك كنت في بلاد الأشباح .

رئيس العشيرة : لاباس عليك ايتها السحلية ، رغم كل ما حدث يحبك الجميع عندنا . انك عرّضت نفسك للمشقة وخاطرت بحياتك . ويكفينا أنك عدت سالمة . اننا سعيدون بك فهدئي من روعك وابتسمي .

الطاووس : إنها مضطربة بسبب كثرة الناس حولها . ولو اني انفردت بها لحدثتني بكل شيء .

النساء : يا لك من ماكر ايها الطاووس !
انفردت مع جميع الحاضرات ، ومع ذلك لم تشبع بعد !

المحارب : (**يحاول تمالك نفسه**) . عندما هاجمناهم اختبؤا خلف جدار من الصخور المصفوفة فوق بعضها البعض . ألم تري صدفة ترتيب تلك الصخور ؟

السحلية : رايت ... رسم الشاب الذي خطفني ترتيبها بالعود على التراب .

المحارب : هل يمكنك ان ترسمي لنا هذا ؟

السحلية : (وقد تذكرت) . حالاً ...

رئيس العشيرة : لا تستعجلي . عندنا من الوقت ما يكفي . هاك عوداً . ارسمي بهدوء وإن لم ينجح المخطط فامحه وارسمي من جديد .

السحلية : على ما اذكر .. يصفون الصخور هكذا ... **(تبدا بالرسم .. تتوقف بعد قليل ثم تمحو ما رسمت) .**

رئيس العشيرة : لا تستعجلي ..

السحلية : كنت اذكر هذا طول الوقت . أما الآن فنسيت . صدقوني كنت أذكر ..

المحارب : **(بعبوس)** . مفهوم .

رئيس العشيرة : هل التقيت برئيس عشيرتهم ؟

السحلية : طبعاً . يدعونه هناك بالمشير . إنه مشوه أيضاً . انت فقدت رجلك ، أما هو ففقد يده .

الخطيب : مقارنة في غير محلها . هذا رئيس عشيرتنا . اما ذاك ...

المحارب : يفهم من قولك ان ذاك المشوه ليس شخصاً سيئاً ؟

رئيس العشيرة : اذهبي يا سحلية وارتاحي . اما نحن فسنتابع الحديث .
(تتنحى السحلية عن المجموعة منكسة الراس . فترة صمت ثقيل) .
إنني اخطات بارسال امراة .

الطاووس : كان الأصح ارسال رجل ليخطف عقربه .

النساء : يا له من خبر !
لم يعد يكتفي بنساء عشيرتنا !

طويل الأذنين : **(يقترب من السحلية التي انزوت بعيداً عن المجموعة)** . وماذا في ذلك ! أنا أيضا ذاكرتي ضعيفة ، ولا أذكر شيئاً .

السحلية : هل تدري أين والدانا ؟ لن أقول لك إلا إذا وعدتني بأن لا تفشي السر لأحد .

طويل الأذنين : اعدك .

السحلية : إنهما يعيشان هناك .. عند العقارب .

طويل الأذنين : عند العقارب ؟! ولم يقتلوهما ؟!

السحلية : لا يعرف احد هناك انهما من عشيرة الثيران البرية. هل تدري ، انهما هناك ينمنعان باحترام وحب الجميع . نحن نقول عقارب .. عقارب ! أما هم فلا يرغبون في القتال ، بل انهم يكرهون القتل !

طويل الأذنين : اخرسي ! لا اريد الاصغاء لما تقولين .

السحلية : اغلق اذنيك بيديك .

(يغلق طويل الأذنين اذنيه بيديه) .

الأمور هناك مختلفة تماماً عما تتصورون .. كل شيء مختلف ! على سبيل المثال كان الشاب الذي خطفني مزوحاً بشكل لا يخطر ببالك..اضحكني طول الوقت . دوّر دلواً دون أن يريق منه الماء !.. آ ، انت لا تعرف ما هو الدلو ... الدلو وعاء يحفظون فيه الماء ...

السلحفاة : (**وكانت تقف غير بعيد منهما**) . تعال الى هنا يا طويل الأذنين . لا تسمع لما تقول .

طويل الأذنين : إنني اغلقت اذني ولا اسمع .

السلحفاة : لا تكذب . طالما تسمعني فهذا يعني انك تسمعها ايضاً .
(تقترب منه وتعانقه لاغوائه) . طال صبري ولم اعد احتمل ...

طويل الاذنين : **(مستسلماً)** . حسناً ، لنذهب .
(للسحلية بخجل) . إنها تحبني .
(ينصرف طويل الأذنين خلف السلحفاة ، تبقى السحلية وحيدة ، يظهر أمامها عقربان مسلحان بالأقواس فتتجه نحوهما) .

السحلية : القوس ! .. الزوج ! ..
(يشد العقربان الوترين ويطلقان سهميهما ، تسقط السحلية صريعة ، بينما الناس جالسون في حلقة) .

رئيس العشيرة : والآن يمكن استخلاص النتائج .

الخطيب : أي نتائج ؟ ! إن السحلية لم تحدثنا بشيء يذكر .

رئيس العشيرة : ما قالته يكفي . لقد عاملها العقارب بالحسنى ، ولو أساؤوا معاملتها لما نسيت ذلك .

المحارب : الا يعني هـذا انهـا خانتنـا وانضمـت لصف الأعـداء ؟

رئيس العشيرة : هذا يعني ان العقارب لا يكنون لنا البغضاء والعداوة . إنهم لا ينوون مهاجمتنا أو مطاردتنا للقضاء علينا . بالمناسبة نحن الذيـن بادرناهم بالهجوم في المرة الأخيرة ...

المحارب : لانهم جبنـاء !

رئيس العشيرة : جبناء ؟ لا اعتقد ذلك . في كل الاحوال هذا يعني اننا نستطيع العودة الى ديارنا بالقرب من البحيرة ومعالجة جراحنا والعيش بسـلام كما في السـابق .. نصطاد السمك والطرائـد ونخلف الأطفال ...

أفراد العشيرة : الى ديارنا ! ..
الى اكواخنـا عند البحيرة ! ..
نصطاد السمك والطرائد ! ..

المحارب : اسمحوا لي بكلمة ...

رئيس العشيرة : سمعنا منك ما فيه الكفاية ، ولا داعي للكلام اكثر .

المحارب : لا زال عندي سؤال .

رئيس العشيرة : لقد اجبتُ على كل الأسئلة ، ولا داعي للسؤال .

الخطيب : حتى لو انني اردت الجدال معك يا رييس العشيرة لخسرت الجولة . إنك عبرت عن افكارنا بمنتهى الفصاحة والبراعة . نعم ، نصطاد السمك ! نعم ! نصطاد الطرائد ! نعم ! ننجب الأطفال ! كلمات بليغة .. في منتهى البلاغة .

النساء : لنعد الى ديارنا ...
الى بيوتنا ...

رئيس العشيرة : (**للمحارب**) . اختر رجالاً لحمل الجرحى . واشرف على أن لا يتاخر احد عن القافلة .

المحارب : هيا بسرعة ! تحركوا . ليرفع يده كل من لا يستطيع السير ، انت ... وانت .. ليكن أبطال المعركة السابقة على رأس القافلة . أنت سيساعدك طويل الأنف ، أما انت فسيحملك المجدور وطويل الأذنين ... من الذي تخلف هناك ؟ هيا بسرعة !

طويل الأذنين : أين السحلية ؟ هل رأيتها ؟

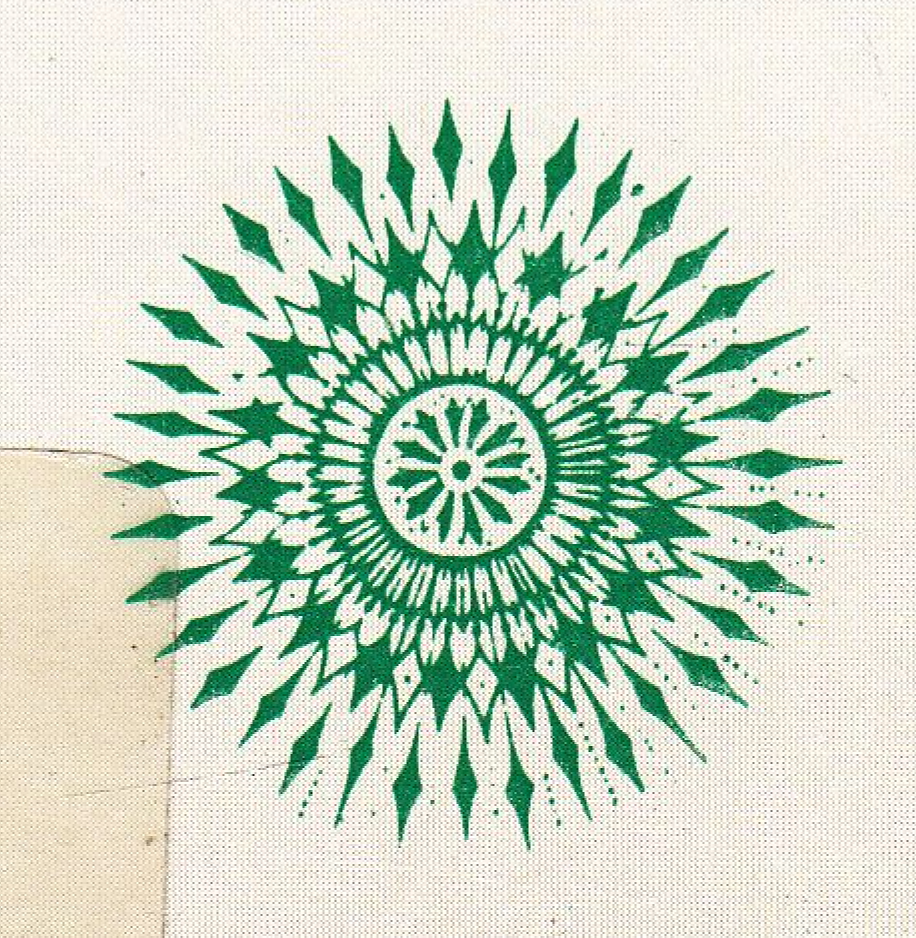
المحارب : إنهـا بين نسـاء العشيرة . امسك النقالة بقوة . نحن جاهـزون يا رئيسـ العشــيرة وبانتظار تعليماتــك .

رئيس العشيرة : تحركوا .

(يبدأ الناس السير بتردد وخوف ، ثم تزداد خطواتهم جراة وتتحول الى عَدْوٍ تحت قصف وبرق الرعـود . يصرخ البعض بسعادة : الى الديار ، الى الوطن ! تتجاوز المجموعة السحلية الصريعة وهي في طريقها الى السعادة والطمانينة التي طال انتظارها) .

الفهرس

٢٠٠٠ ط١ /١/١٩٩٨



طبع في مطابع وزارة الثقافة

دمشق ١٩٩٨

سعر النسخة داخل القطر

٥٠ ل.س

في الأقطار العربية ما يعادل

١٠٠ ل.س